

الزمن

للاستاذ إبراهيم عبد القادر المازني

حدث مرة أني سافرت فجأة إلى أوروبا من غير أن يعرف أحد من أهلي وأصحابي - عزمت على ذلك وأمضيت العزم فكانت هذه الرحلة التي لم تكن لي في حساب قبل يومين اثنين. وأسباب ذلك كثيرة يطول شرحها. وركبنا الباخرة فما كان يمكن أن أذهب إلى أوروبا سابحاً، ومضى يوم وثان وإذا بفتاة من عرفناهن على ظهر السفينة مقبلة على تقول:

«هل ضبطت الساعة؟»

ونظرت إلى ساعتها الصغيرة على معصمها ثم رفعتها إلى أذنها فقلت: «دعني هذا لي فأني حاد السمع مرهف... هاتي يدك واسمعي»

قالت: «يظهر أنك لا تسمع إلا ما تريد... لقد سألتك الآن هل أصلحت ساعتك؟»

فقلت وأنا أتعجب: «أصلحتها؟» ومن الذي قال إن ساعتني خربت؟ إلى أيؤكد لك أنها من أحسن الساعات... كانت لرجل من يكثر المال في أيديهم يوماً فيذهبون يشترون كل ما يحظر لهم على البال، ويصبحون في اليوم الثاني وقد صفرت أكهفهم فيرهنون ما اشتروا أمس أو يبيعهونه... صاحب هذه الساعة شاء أن يرهنها، ثم لم يؤد ما اقترض عليها، فاضطر الصانع اليهودي أن يبيعها... ولا أحتاج أن أقول إنك ترين الرجل الفاضل الذي اشتراها منه.

فألقت إلى ابنة عذبة أدارت رأسي دورة جديدة - وأقول الحق إنها هي التي كانت سبب سفري إلى أوروبا فجأة - وقالت: «لا شك أنها ساعة معرقة في الفخار... ولكنها تحتاج الآن إلى إصلاح»

فقلت ببساطة: «أبدا...»

فقلت: «أسرع... رد العقرين»

فدهشت وقلت: «أردهما... لماذا؟»

وقد أصبحنا مطبوعين على النظر إلى البعيد دون النظر إلى القريب نعم إننا ننظر حولنا إلى عظيم في الشعر من طراز شكسبير فلا نرى له ندا بين الشعراء المعاصرين، ولكن النوايع من طراز شكسبير تتساوى فيهم جميع العصور ولا يستأثر بهم القرن الذي نبغوا فيه، وهكذا كان أبناء القرن السادس عشر خلفاء أن يبحثوا في زمانهم عن يضارعون نوايع القرن العشرين في العلم والاختراع والموسيقى والفن. كآلة فلا يجدوا بينهم أنداداً لهم يضارعونهم كثرة وقيمة؛ وإن العصر الحديث مع هذا ليفهم قصائد شكسبير خيراً مما فهمها معاصروه، ويقدره خيراً مما قدروه، ويمثل رواياته أكثر وأجمل وأبرع وأكفل بالأقبال والاعجاب مما كانوا يمثلونها في حياته

أذكر أنني رأيت منذ سنوات في إحدى الصحف الإنجليزية صوراً لبعض العظماء الغابرين في أزياء العصر الحديث، شفعتها الصحيفة بهذا السؤال: هل تعرفهم؟

وحق للصحيفة أن تسأل سؤاها الآن. لأن الصور التي رأيناها لأولئك العظماء قد سلبتهم كثيراً من الهيبة وبددت ماحولهم من هالات الفوارق والمسافات التي يوحيا اختلاف المظاهر والأزياء.

وإن حاجتنا اليوم لشديدة إلى متحف يستعرض لنا عظماء أمس في أزياء اليوم، وعظماء اليوم في أزياء أمس، نعرف مقدار ما نضيفه إلى الغابرين من هيئة الفوارق والمسافات ومقدار ما نسلبه المعاصرين من جلاء الألفة والمقاربة

فإن تعذر علينا أن نرسم ذلك المتحف عياناً فلنرسمه بالظن والتقدير. ولنرجع إذن إلى مقاييسنا وموازيننا نلصق مواضع الزيادة والنقصان فيها، ونصلح جوانب الغلو والبخس في كفاتنا، ونغنم تصحيح الميزان في الحكم على الرجال والأزمان، لأن هذا التصحيح غنيمة أنفس وأجدي من تفضيل نابغ على نابغ أو ترجيح جانب على جانب. إذ لا ضرر ولا قصور في اختلاف التفضيل والترجيح متى صحمت النظرة واستقام القياس. تلك هي الحقيقة فيما يقال عن ندرة البطولة والنبوغ يتناكأ أراها أما تواتر القول بندرتها بين جماعة من الناقدين منهم أناس فضلاء محبون للانصاف فله أسباب قد نعود إلى تفصيلها ومناقشتها

عباسي محمود العقاد

قالت : « نعم ... ردهما ... أخرهما ساعة ... لو كنا في الشتاء لوجب أن تؤخرهما ساعتين ،

قلت : « اسمي ... لو أمرتني أن أرتد طفلاً ، وكان هذا في وسعي ، لفعلت بلا تردد ، وبلا شرط سوى أن ترتدي معي طفلة لتلعب معاً ... ونكبر معا ... ونعوض على العموم ما فاتنا ... ما فاتني أنا على الأصح - ليس عليك إلا أن تأمرى فاذا الذي تشائين كائن - ولكن من المجانين الذين يحبون أن يعلموا لماذا يصنعون ما يصنعون ،

قالت : « لا أدري سوى أن كل الناس هنا ردوا عقارب الساعات وأرجعوها ساعة ... حساب الوقت بعد هذا الخط يتقدم ساعة ،

قلت : « تعنين يتأخر ،

قالت : « كلا ... بل يتقدم ،

قلت : « لن نحل هذا الاشكال قط فيحسن أن تتركه ... ولنتنقل إلى سواء فهل تعنين أننا كنا سائرين إلى الورا ؟ كنا نرتد في الزمن ؟ ،

قالت : « لا أدري ... هكذا يقولون ... فأصلح الساعة وتعال إلى فوق فإن الجو جميل ،

قلت : « أفهميني أولاً كيف كنا نرجع القهقري في الزمن ، فلم تستطع أن تفهمني - ولها العذر ، وكيف بالله تستطيع أن تفهم أنك تمشي إلى الورا وأنت تمشي إلى الأمام ؟ - وأصررت أنا على ترك ساعتى كما هي ، وقلت لها : « إنك ولا مؤاخذه مثل مدرس الجغرافيا الانجليزى في المدرسة الخديوية ،

قالت : « ماله ؟ ،

قلت : « كان يقول لنا ، لنفرض أنكم في استراليا - ولا أدري لماذا اختار استراليا ولكن هكذا كان يقول - وأنى أنا - يعنى نفسه - في لندن ... فاذا يحدث ؟ ... فلا نعرف ما ذا يمكن أن يحدث ، فيقول ... اسمعوا في يوم من الايام ، وليكن الجمعة ، فأعترض وأقول : إن يوم الجمعة فيه ساعة منحوسة ، فيقول : حسن ، إذن ليكن اليوم يوم الأحد

ولیکن الوقت الصباح ... ولنفرض أيضاً أن المخاطبات التليفونية بمكة بين استراليا ولندن فيدق لي أحدكم التليفون ويقول صباح الخير ... مفهوم ؟ ... فنقول جداً : فيسألنا ماذا ينبغي أن أقول أنا في رد التحية التى وجهها إلى من باستراليا ؟ فنقول له تقول صباح الخير ، أو عموا صباحاً يا أولاد كما تقول لنا هنا ، فيقول كلا ... في هذا تخطئون

لأننا في لندن نكون في ذلك الوقت في مساء السبت بينما تكونون أتم في استراليا في صباح الأحد ، فأنا أرد على تحيته بقولى له « عم مساء ، فتقولون لي مستغربين كيف هذا ؟ ... إننا ما زلنا في الصباح ، فأقول إن الوقت الآن في لندن الثامنة مساء ، وقد تناولت عشاءى منذ اللحظة قصيرة ؛ فتقولون كلا ، بل الساعة الآن الخامسة صباحاً ، ونحن لم نفطر

فألتفت إلى الذين معى وأقول اسمعوا ... إن لفيفاً من تلاميذى في استراليا استيقظوا - بصيفة الماضى من فضلكم - صباح غد فيسألنى اخوانى كيف يمكن أن يعرف ما عسى أن يفعلوا - غداً صباحاً ؟ فأقول إنى أعرف ما عسى أن يفعلوا غدا صباحاً لأنهم أنباءون أنهم فعلوه فيقول إخوانى لى إنك مجنون - أو كلاماً آخر كهذا - لأنهم لا يستطيعون أن يتصوروا أن يكونوا هم في الساعة الثامنة مساء من يوم السبت على حين يكون غيرهم في نفس الوقت في الساعة الخامسة صباحاً من يوم الأحد ، فهز نحن التلاميذ رؤوسنا الصغيرة ونقول ، ولا نحن نفهم هذا ، فيقول المدرس اسمعوا ... لنفرض أن

لى طيارة سريعة تقطع المسافة بين القاهرة واستراليا فى أربع ساعات أو خمس ... أركبها من القاهرة يوم السبت وأفطر فى استراليا صباح الأحد وأرجع إلى القاهرة مساء السبت - أرجع إليها قبل الوقت الذى غادرتها فيه - فما قولكم ؟ ...

أليس هذا واضحاً ؟ ... فنضع أصابعنا فى الشق ، ونريح أنفسنا من العناية الباطل ، ونقول إن الأمر واضح جداً .

وأزيد أنا على هذا أن من الواضح من كلامك أن فى وسعك أن تقوم من القاهرة يوم السبت وتكون فى استراليا - أو حيث شئت غيرها - يوم الاثنين ، لا الأحد فقط ، ثم

هاتمة الأساطير الموريسكية

الصراع الأخير

بين الموريسكيين وإسبانيا

للأستاذ محمد عبد الله عنان

بينما كانت هذه الحوادث والمعارك الدموية تضطرم في
هضاب الأندلس وسهولها وتحمل إليها أعلام الخراب والموت ،
إذ وقع في المعسكر الموريسكي حادث خطير هو مصرع
محمد بن أمية ؛ وكان مصرعه نتيجة المؤامرة والخيانة ؛ وكانت
عوامل الخلاف والحسد تحيط بهذا العرش بسياج من الأهواء
الخطرة ، وكان محمد بن أمية يثير بين مواطنيه بظرفه وفروسته
ورقيق شمائله كثيرا من العطف ، ولكنه كان يثير ببصرامته
وبطشه الحقد في نفوس نفر من ضباطه ؛ وتقص علينا الرواية
القشائلية سيرة مقتله ، فتقول إنه كان ثمة ضابط من هؤلاء
يدعى ديجو الجوازيل له عشيقة جسيمة تسمى زهرة ، فأنزعهما
محمد منه قسرا ، فحقد عليه ، وسعى لإهلاكه بمعاونة خليلته ،
فزور على لسانه خطابا إلى القائد العام « ابن عبو » يحرضه على
التخلص من المرتزقة الترك ، وكانت ثمة منهم فرقة في المعسكر
الموريسكي ، فعلم الترك بأمر الخطاب ، واقتحموا المعسكر إلى
مقر محمد بن أمية . وقتلوه بالرغم من احتجاجه وتوكيد برأته ؛
واستقبل الجند الحادث بالسكون ؛ وفي الحال اختار الزعماء
ملكا جديدا هو « ابن عبو » فتسمى بمولاي عبد الله محمد ،
وأعلن ملكا على الأندلس بنفس الاحتفال المؤثر الذي وصفناه .
وكان مولاي عبد الله أكثر فطنة وروية وتديرا ، فحمل الجميع
على احترامه ؛ واشتغل مدى حين بتنظيم الجيش واستقدام
السلاح والذخيرة من ثغور المغرب ، واستطاع أن يجمع
حواله جيشا مدربا قوامه زهاء عشرة آلاف بين مجاهد
ومرتزق ومغامر

وفي أواخر أكتوبر سنة ١٥٦٩ سار مولاي عبد الله

ترجع إلى القاهرة يوم الجمعة ، الذي هو قبل السبت الذي
سافرت فيه ... معلوم ... الأمر واضح جداً ... فيحسب
المدرس أنني أسخر منه ، ويعاقبني بالحبس ساعة ، آخر النهار ...
هذا ياستي ما كان مدرسا يعلننا ... لقد ضاع علينا والله
ما أنفقناه في التعلم ... والآن بعد أن استرحنا من المدارس
والمدرسين المخرفين نركب هذه البخرة الجميلة ونحن نعتقد
أن الدنيا بخير ، وأن العقول لم تطر من الرؤوس وإذا بهم
يقولون لنا ردوا عقارب الساعات لانا رجعنا ساعة ؟؟
والذي يدهشني هو أن تصديقهم

فتقول فتاتي : ولكن هذا صحيح ،

فأصبح بها - برغمي - : كيف تقولين هذا الكلام ؟؟
هل تريدني مني أن أقول إن الساعة الرابعة حين تكون
الخامسة ؟ إنك تكلفيني شططا ،

فتقول : لقد كسبنا ساعة ،

فأقول : أرجوك ! أرجوك ! ،

فتقول : صحيح والله ،

فأقول : يا بنت الحلال كيف يمكن أن نكون قد كسبنا
هذه الساعة وهي قد ولت ؟ ثم إنني لم أكن معك فيها ، لأنني
كنت نائما فالحسارة مضاعفة ،

فتضحك وتقول : كسبناها لانا استرجعناها ،

فأقول : إيه ؟ استرجعنا الساعة التي ولت ؟ مدهش ! ،

فتقول : ألا تصدق ؟ ،

فأقول : يا حبيبي ، يا روي ، يا عقلي ... أرجوك ! ،

ألف راه جيم واو الخ الخ . ،

فتضحك فأقول : اسمي إنني لأحب أن يبق هذا الخلاف
بيننا ، وأنا من أجل عينيك النجلارين أفعل ما تريدني - لآعن
اقتناع ، بل ارضاء لك - وأنا مستعد أن أقول إننا رجعنا إلى
العام الماضي ... والله فكرة ! تعالى نرجع طفلين ونلعب ...
فتذهب تعدو ضاحكة وأعدو وراها حتى أدر كها .

ابراهيم عبد القادر المازني